صور من الحياة الاجتماعية فى المجتمع العباسى فى العراق

الدكتورة مليحة رحمة الله

الأستاذة المساعدة فى كلية البنات — جامعة بغداد

هناك صور من الحياة كثيرة فى المجتمع العراقى فى عصر بنى العباس ، منها ما استمدت من واقع البيئة ، ومنها ما كانت ترجع إلى عصر ما قبل الإسلام ، ومنها ما اقتبست من الأمم الأجنبية وخاصة الفرس . وهذه الصور يمكن أن يطلق عليها اسم العادات والتقاليد التى سيطرت على عقول الناس ولا تزال مسيطرة حتى اليوم . هذا وتختلف هذه العادات والتقاليد باختلاف المناسبات ، فثمة عادات تظهر فى مناسبات الأفراح والأعياد ، وهناك عادات أخرى تبرز فى حالات الأتراح والأحزان ، ومنها ما لها علاقة بالحياة الاجتماعية بصفة عامة .

ففى مناسبات الأفراح كما هو الحال فى الأعياد الدينية كعيد الأضحى جرت العادة أن يستقبل الحجاج عند عودتهم من مكة المكرمة ، وتقدم التهانى لهم بسلامة الوصول وأداء فريضة الحجاج[1] وقد يشترك الخليفة نفسه فى هذا الاستقبال . حكى فى سنة واحد وتسعين وثلثمائة أن استقبل القادر بالله أهل خراسان القادمين من الحج الذاهبين إلى المشرق[2]. وفى عيدى الفطر والأضحى تقام الولائم خاصة فى قصور الأغنياء ، وعرفت أسمطة الخلفاء والوزراء بسعتها وبكثرة كميات وأنواع الطعام التى تقدم عليها .

ومن صور الحياة أيضاً الاحتفال بختمة القرآن ، ويكون مقصوراً على الأحداث ، وتنظم بذلك المواكب ويظهرون فيها بأحسن الأزياء ويجوبون طرق المدينة ينشدون الأناشيد وقد لبسوا أفخر الثياب[3] . ثم تقام المآدب وتوزع الخلع على المقربين

---

(١) ابن الجوزى : تلبيس ص ١٤٠ — ٣٨٢ .
(٢) ابن الجوزى : المنتظم ج ٧ ص ٢١٥ .
(٣) الشبيبى : ابن القوطى ج ٢ ص ١٠٦ .

والمؤدبين ، وتقام مآدب يدعى إليها بعض العلماء وتوقد فيها النيران[١] . ويحضر أيضاً إلى هذه الاحتفالات الرجال والنساء على السواء ، من الأقارب وأصحاب المحلة[٢]. وهذه العادات كانت شائعة عند العباسيين ، واهتم بها الخليفة المستنصر بصورة خاصة فى القرن الخامس الهجرى[٣] . وكذلك عادات الاحتفال بختان الأولاد واشتهر فى التاريخ الاحتفال الذى أقيم فى ختان المعتز بن المتوكل وكذلك ختان أولاد الخليفة المقتدر إذ أنفقت أموال كثيرة فى هذه المناسبة .

وهناك احتفالات تقام فى الأعياد الفارسية مثل النوروز والمهرجان[٤] ، ويشترك فيها الناس جميعاً فى العراق إذ تتبادل الهدايا بينهم ، كما تغير الأدوات والفرش وكثير من الملابس[٥] .

ومن الطريف أن الخلفاء العباسيين أنفسهم كانوا يتوقعون أن ترسل إليهم الهدايا من حاشيتهم وموظفيهم فى جميع أنحاء المملكة عندئذ وأكثر من ذلك يطالبون بها فالمتوكل جلس فى يوم النوروز لاستقبال المهنئين واستلام الهدايا فدخل عليه الطبيب بختيشوع ابن جبرائيل وكان من المقربين له فقال له المتوكل ما ترى فى هذا اليوم ؟ فقال مثل جرباشات الشحاذين إذ ابس قدر وأقبل على ما معى . ثم أخرج من كمه درج أبنوس مضبب بالذهب وفتحه عن حرير أخضر انكشف عن ملعقة كبيرة من جوهر لمع منها شهاب ، ووضعها بين يديه فرأى المتوكل ما لا عهد له بمثله[٦] . وقد تبلغ قيمة هدايا النوروز والمهرجان للخلفاء ولعائلاتهم مبلغاً كبيراً قد يتجاوز خمسة وثلاثين ألف دينار[٧]. وهذه العادة اتبعت لدى جميع أفراد المجتمع وكما نعلم أبطلها الإسلام فى بادىء الأمر حتى جاء معاوية وقبل الهدايا ، وفى العصر العباسى أرجعت الهدايا مع الاحتفال بالعيد رسمياً .

---

(١) ابن الجوزى : تلبيس ص ٣٨٢ .
(٢) ابن الجوزى : تلبيس ص ١١٠ .
(٣) ابن الفوطى : الحوادث الجامعة ص ٧١ .
(٤) القلقشندى : صبح الأعشا ج ٢ ص ٤٢ .
(٥) البيرونى : الآثار الباقية ص ٢٢٢ .
(٦) ابن أبى أصيبعة : طبقات الأطباء ص ٢٠٧ .
(٧) مسكويه : تجارب الأمم ج ١ ص ١٥٥ — ١٥٦ .

هذا ، وقد يتهادون بالقصائد الشعرية أيضاً ، خاصة إلى من هم أعلى منهم منزلة . وهكذا فعل إسحق الصابى وهو فى سجنه ، إذ كتب إلى عضد الدولة قصيدة أرسلها إليه مع درهم خردانى وجزء من كتاب ، فكان مطلعها[1] :

تصبح بعز واعتلاء حدود وأبشر بخير واطراد سعود

وقال :

أتتك الهدايا فيه بين موفر على قدر المهدى وبين زهيد

وقال :

فكان احتفالى فى الهدية درهما يطير من الأنفاس يوم ركود
وجزءاً لطيفاً ذرعه ذرع محبسى وتقييده بالشكل مثل قيودى

وكتب إليه فى يوم نيروز فقال[2] :

تهن بهذا اليوم واحظ بخيره وكن أبداً بالعود منه على وعد
أرى الناس يهدون الهدايا نفيسة إليك ولم يترك لى الدهر ما أهدى
سوى سكر يحلو لك العيش مثله وآس أخى عمر كعمرك يمتد
وبينهما من ضرب قومك درهم وأبيات شعر من ثنائى ومن حمدى
فإن كنت ترضى مابه انبسطت يدى وتقبله منى فهذا الذى عندى

أما حفلات التشريف — والتى اقتصرت على الخلفاء بصورة خاصة — فالعادة جرت أن يخلع الخليفة على الأمير أو الوزير والنقيب أو الوالى لإحدى المقاطعات أو غيرهم خلعاً وألقاباً . وقد عرفت عادة الألقاب أولا منذ عهد الرسول (ص) إذ لقب (ص) جماعة من أصحابه بألقاب تتفق مع ما قاموا به من الأعمال وما يتصفون بها فلقب أبى بكر (بالصديق) وعثمان (بذى النورين) وعلى (بأبى تراب) وجعفر (بالطيار) وحمزة (أسد الله) وهكذا[3] . ولم تستعمل ألقاب فى العصر الأموى حتى جاء العصر العباسى ، فسمى كل خليفة باسم واعتبرت ألقاباً دينية فأبو العباس (بالسفاح) وهارون بالرشيد وهكذا ، الباقون كالمهدى والمتوكل والمستعين والمأمون[4] و... وغيرهم . حتى

(١) الثعالبى : يتيمة الدهر ج ٢ ص ٢٨١ .
(٢) الثعالبى: يتيمة الدهر ج ٢ ص ٢٨٢ .
(٣) الصابى ، رسوم ص ١٢٨ .
(٤) القلقشندى ، صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٧٦ .

الوزراء والقواد أعطيت لهم ألقاب ؛ فالمأمون أعطى الفضل بن سهل لقب «ذى الرئاستين» ولقب المعتمد صاعد بن مخلد بذى الوزارتين ، ولقب المقتدر بن الحسن ابن الفرات بولى الدولة وهكذا بقية وزراء وأمراء الدولة (١) . هذا وقد وصلت الألقاب إلى ثلاثة وأربعة ألقاب فى العصر البويهى (٢) وبصورة عامة كانت الألقاب فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم تعطى لأهل التقوى والدين ولكنها تغيرت فى العصر العباسى فأصبحت تعطى لرجال السياسة وفيها تعظيم وتفخيم (٣) .

ولم يكتف العصر العباسى بمنح الألقاب ، بل أعطيت معها خلع بلغت إلى السبعة مع الطوق والسوار (٤) وأعطيت للأمير بحكم لواء (٥) وجعل أمير الأمراء ، وكذلك لابن رائق (٦) وغيرهم من الأمراء والقواد . وكانت العادة أيضاً أن يخطب على المنابر للخلفاء ويذكر اسمهم فقط ، ولكن فى القرن الرابع شارك الأمراء الخلفاء فى ذكر اسمهم مع اسم الخليفة (٧) . وكانت العادة أن تضرب الطبول والدبادب للصلوات بحضرة الخليفة (٨) فقط ثم أخذت تضرب للأمراء أيضاً . قيل أول من ضربت له الدبادب هو عضد الدولة (٩) ثم استمرت طيلة فترة حكم بنى بويه (١٠) .

أما عادات الأحزان فهى كثيرة ولا تزال متبعة حتى اليوم فى المجتمع وتبدأ عند تشييع المتوفى ؛ إذ يخرج الأهل والأصدقاء والمعارف ويسيرون خلف الجنازة (١١)، فالمرأة تخرج وتبكى وتنشر شعرها وتلطم وتنشد الأشعار ، وهكذا فعلت عند مقتل

---

(١) الصابى ، رسوم ص ١٣١ .
(٢) السيوطى ، تاريخ الخلفاء ص ١٦٤ .
(٣) القلقشندى ، صبح الأعشا ج ٥ ص ٤٩١ .
(٤) السيوطى ، تاريخ الخلفاء ص ١٦٤ .
(٥) الصولى ، الأوراق ص ١٩١ .
(٦) الصولى ، الأوراق ص ٢٠٩ .
(٧) الدمشقى ، البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٩٢ .
(٨) هلال بن الصابىء رسوم دار الخلافة ص ١٣١ .
(٩) الدمشقى ، البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٩٩
(١٠) ابن الجوزى ، المنتظم ج ٧ ص ٣٤٠ .
(١١) ابن الجوزى ذم الهوى ٤٧٨ .

الخليفة المسترشد [١] وقد تخرج نائحة خاصة خلف الجنازة [٢] وربما يخرج رجال من أصحاب الذكر يسيرون خلف الجنازة وهم يقومون بالتهاليل وترتيل الألحان [٣].

أما بالنسبة للنصارى فيشيعون موتاهم بالنواح وضرب الطبول والنفخ بالزمور [٤] ويسير الرهبان فى المقدمة ثم حاملو الصلبان والشموع ثم بقية الناس من أهل وأصدقاء ومعارف .

وفى حالة الدفن اعتاد البعض من أهل بغداد أن يدفن موتاه خارج أسوارها والبعض الآخر يدفن موتاه فى النجف الأشرف ، وهؤلاء أصحاب المذهب الشيعى وتنقل الأموات إلى هذا المقر حتى من الأماكن البعيدة ، ولا زالت هذه العادة متبعة ليومنا هذا . وذكر أن عضد الدولة الأمير البويهى نقل جثمانه إلى النجف الأشرف فى القرن الرابع الهجرى [٥] وكذلك استمرت عادة قراءة القرآن على القبور لدى جميع طبقات المجتمع . حكى أن امرأة فقيرة دفعت إلى رجل رغيفاً وطلبت منه أن يقرأ عند قبر ابنها ، فقرأ «يوم يسحبون فى النار على وجوههم ذوقوا ...» قالت له هكذا يقرأ عند القبور؟ فقال لها ، أيش أردت أن أقراء « متكئين على فرش بطائنها من استبرق » فى ذاك بدرهم [٦] .

وعلى ذكر طريقة دفن الموتى نشير إلى عادة دفن النقود أيضاً تحت الأرض خوفاً من ضياعها ؛ فالأمير الذى يحكم كان يحفظ أمواله فى الصحراء [٧]. وهكذا كان يفعل التجار . حكى أن تاجراً قدم من خرسان متأهباً للذهاب للحج ، وبقى من ماله ألف دينار لا يحتاج إليها ، فقال إن حملتها خاطرت بها وإن أودعتها خفت مغبة المودع ، فمضى إلى الصحراء ودفنها تحت الشجرة ، وعندما عاد لم يجدها فوصل الخبر إلى عضد الدولة فاستطاع بمهارته وعمق تفكيره أن يهتدى إلى السارق [٨] .

---

(١) ابن الجوزى ، المنتظم جـ ١٠ ص ٤٦ .
(٢) الخطيب البغدادى ، تاريخ بغداد جـ ٣ ص ٣١ .
(٣) ابن القوطى ، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابقة ص ٢٣٧ .
(٤) ابن الجوزى ، المنتظم جـ ٧ ص ٢٦٢ .
(٥) ابن الجوزى ، المنتظم جـ ٨ ص ٣١٧ .
(٦) ابن الجوزى ، الظراف ص ٩٨ .
(٧) الدمشقى ، البداية والنهاية جـ ١١ ص ٣٠١ .
(٨) ابن الجوزى ، الأذكياء ص ٥٢ .

أما المآتم التى تقام على الأموات ، فكانت على نوعين ، منها الخاصة بالرجال والأخرى بالنساء ، يقرأ فيهما القرآن . ويختار لمجالس النساء قراء عميان أو قارئات[١] يلبس فيها الثياب ذات اللون الأسود وهى تمثل شعار الحزن .

وعلى ذكر ثياب العزاء فإن المؤرخين وغيرهم من الكتاب لم يمدونا بمعلومات وافية عن لونها ووصفها . على أننا نستطيع أن نقول أنه كان يغلب عليها اللون الأسود وذلك على ضوء ما ذكره بعض المؤرخين عن وفاة الخليفة المستنصر العباسى سنة ٦٤٠ هـ وارتداء رجال الدولة الثياب السوداء فى يوم وفاة هذا الخليفة[٢] .

ومن بين التعاليم الدينية التى تمثل صور من المجتمع العراقى زيارة قبور الأئمة والشهداء من أهل البيت ، وكذلك قبر الإمام أبى حنيفة ومشهد الصحابى سلمان الفارسى . وقد زار بعض الخلفاء قبور أهل البيت ، وكانت تنفق أموال كثيرة على قبور الشخصيات التى تتمتع بصفة دينية . فالخليفة المستنصر عند زيارته لقبر الإمام موسى بن جعفر أعطى ثلاثة آلاف دينار لنقيب الطالبيين لصرفها على المعنيين فى مشهد الأئمة[٣] .

وفى حالة وفاة شخصية كبيرة كالخليفة أو الأمير فالحزن يعم بغداد كلها إذ تغلق الأسواق وتعلق الاقمشة السوداء على جدرانها وتقام المآتم فى كل مكان . وحدث مثل ذلك فى القرن الخامس الهجرى عند وفاة الخليفة القائم بأمر الله فأظهرت علائم الحزن لمدة ثلاثة أيام[٤] على المستوى الرسمى والشعبى ، وكذلك عند وفاة الأمير البويهى عضد الدولة .

هذا وقد يظهر أصحاب المذهب الشيعى الحزن الشديد فى ذكرى استشهاد الإمام الحسين يوم عاشوراء[٥] ولا تزال عادة إظهار الحزن مستمرة فى العراق حتى الوقت الحاضر .

---

(١) السفطى ، ص ٦٨ .
(٢) ابن الجوزى ، المنتظم ج ٨ ص ٢٩٥ .
(٣) ابن الفوطى ، الحوادث الجامعة ص ١٠٤ .
(٤) ابن الجوزى ، المنتظم ج ٨ ص ١٦٥ .
(٥) ابن الجوزى ، المنتظم ج ٧ ص ١٥ .

وهناك صور أخرى تمثل نواحى الحياة فى المجتمع ، نذكر منها شيئاً فيما يخص الطعام واللباس وبعض الأمور الأخرى ؛ فمن العادات المتبعة عند الطعام ولا تزال — خاصة عند طبقة المتدينين — هى غسل الأيدى قبل الطعام وبعده ويكون فى وعاء واحد[١] يسمى بالطشت[٢] ويبدأ رب البيت بالغسيل[٣] ويذكر متز أن العادة جرت أن يبدأ الغسل من جهة اليسار حتى ينتهى بصاحب البيت[٤] ، بينما يغسل يديه بعد الضيوف عند الانتهاء من الطعام[٥] ويستعمل عادة الاشنان فى الغسيل[٦] ويذكر كشاجم أن عامة الناس تعودوا على إجلال رؤسائهم وخلفائهم لعدم غسل أيديهم بحضرتهم وأجازوا ذلك مع نظرائهم ليكون بذلك (٧) أليق . حكى أن القائد الافشين أكل عند الخليفة المعتصم يوماً وبعد الانتهاء من الطعام غسل يديه بحيث يراه المعتصم فأزعجه بهذا التصرف[٨] . هذا وبعد الغسيل تنظف الأسنان . حكى أن المأمون كان يصرف ساعتين كل يوم يستمع فيهما للشعراء أثناء تنظيف أسنانه ، كما يستعمل السواك لتنظيف الأسنان[٩] .

هذا ، وقد اهتم الكتاب بآداب الطعام ، فكتب الغزالى خمسة قواعد لآداب الطعام[١٠] وكذلك كشاجم[١١] كتب فى هذا الموضوع إضافة إلى عدد كبير من الكتاب والمؤرخين من اهتم بذلك ، فالخطيب البغدادى ذكر أنه بعد الانتهاء من الطعام على صاحب الدعوة أن يبخر المدعوين[١٢] وعلى المدعوين أنه يشكروا صاحب

---

(١) كشاجم ، أدب القديم ص ٢٧ .
(٢) الهمذانى ، مقامات ص ١٣٥ .
(٣) الغزالى ، إحياء جـ ٢ ص ١٦ .
(٤) كشاجم ، أدب القديم ص ٢٧ .
(٥) الغزالى ، إحياء ج ٢ ص ٧ — الأزدى حكاية بن القاسم ص ٤١ .
(٦) الحضارة الإسلامية جـ ٢ ص ٢٣٢ .
(٧) كشاجم ، أدب القديم ص ٢٧ .
(٨) دم متز ، لحضارة الإسلامية ج ٢ ص ٢٣٢ .
(٩) الأزدى ، حكاية ص ٤١ — الغزولى ، مطالع البدور ج ٢/٦٨ .
(١٠) الغزالى ، إحياء العلوم ج ٢ ص ١٦ — ١٨ .
(١١) كشاجم ، أدب القديم ص ٢٧ .
(١٢) الخطيب ، التطفيل ص ٨٦ .

الدعوة عند مغادرتهم للبيت[١] . هذا وهناك عادات كثيرة جداً فى الأصول وقواعد الطعام لا مجال لذكرها هنا خاصة بموائد الخلفاء ورجالات الدولة .

أما عادات اللباس فهى كثيرة أيضاً فلكل طبقة زى خاص بها . فالخلفاء اتخذوا السواد[٢] ولا يمكن تغييره لأنه أصبح شعاراً لدولتهم وكذلك الوزراء وغيرهم من الداخلين لدار الخلافة عليهم أن يتخذوا الأقبية السوداء لباساً لهم[٣] وحتى محضرون مجالسهم لبست الأثواب المصبغة الزاهية الاحمرار والاصفرار والاخضرار يصقلونها حتى تلمع[٤] . وفى المواكب تتخذ أثواب خاصة بها أيضاً[٥] وجرت العادة أن يلبس القضاة والفقهاء المبطنة والطيلسان الأسود والدراعة السوداء والقلانس المستديرة حتى أبدلت بعد ذلك بالعمائم السود المصقولة[٦] .

ومن التقاليد والعادات العائلية فى ذلك الوقت والتى استمرت حتى يومنا هذا لدى بعض الناس هى أن لا تخرج المرأة كاشفة الوجه أو حاسرة الرأس فى الطرقات — فعليها أن تغطى وجهها[٧] وأن تتخذ التحفظ والاحترام والحشمة والابتعاد عن الرجال الغرباء عند حضورها مجالس الوعظ[٨] وفى الذهاب للحمام أو الأسواق[٩] .

وكان للزواج عادات وتقاليد سيطرت على المجتمع ومع أنها قد تسبب مشاكل ومصاعب للأسرة ، لكن ليس من السهل تغييرها أو إزالتها من عقول الناس . فمن هذه التقاليد التى أصبحت عادات بعض الزمن ، « الخطبة » التى اتبعت فيها طريقتان : إحداهما تتم بالتفاهم بين الرجل والمرأة مباشرة[١٠] وهذا نادر الحدوث ،

---

(١) الغزالى ، إحياء ج ٢ ص ٥ .
(٢) الصابى ، الوزراء ص ٢٦١ .
(٣) الصابى ، رسوم ص ٩١ .
(٤) الموشى ، الوشاء ص ١٨٣ التمدن ج ٥ ص ٨٣ .
(٥) جلالة الصابى ، رسوم ص ٩٠ .
(٦) الاصبهانى ، ج ٥ ص ٣٩٠ .
(انظر مقالة عن الملابس لصاحبة المقال نشرت فى المجلد الثالث عشر سنة ١٩٦٧ من المجلة التاريخية المصرية) .
(٧) الغزالى ، إحياء العلوم ج ٢ ص ٢٣٠ .
(٨) الخطيب البغدادى ، تاريخ بغداد ج ١٢ ص٧٦ .
(٩) الماوردى الأحكام السلطانية ص ١٢٣ أو ٢٢٢ .
(١٠) ابن الجوزى ، ذم الهوى ص ٣٦٦ — ٣٦٨ .

حتى خلال القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة حيث انتشرت الجوارى وانحطت منزلة المرأة .

أما الطريقة الثانية وهى المتبعة لدى جميع طبقات المجتمع فهى جعل الخطبة عن طريق الوساطة ، وذلك بأن يعهد إلى سيدة من الأقارب أو من صديقات الأسرة بالذهاب إلى أهل الفتاة لطلب يدها[١] . وكان من مستلزمات الزواج الصداق ، وقد جرت العادة بأن يكون نقداً ، وكان مقداره يختلف حسب طبقات المجتمع ؛ فالأثرياء يقدمون صداقاً كبيراً ، يتناسب مع ما يملكون من ثروة[٢] . وكانت طبقة العامة تحرص أيضاً على تقديم الصداق بقدر ماتستطيع[٣] . وهذا دليل على أن هذه العادة كانت مسيطرة على عوائل المجتمع .

ومن العادات التى كانت تراعى فى الزفاف أن تزف المرأة إلى بيت الرجل[٤] حيث يقام احتفال ووليمة ينفق عليها الزوج حسب إمكانياته[٥] . وقد يشترك مع المدعوين أشخاص يحضرون بدون دعوة ، يعرفون بالطفيليين ، والظاهر أنها عادة متبعة فى المجتمع ، ويسمى الواحد منهم بطفيلى العروس ، ولا يجسر أحد من المدعوين أن يطلب منه الخروج . ويحكى أن طفيلياً أوصى ابنه إذا دخلت عرساً فلا تلتفت تلفت المريب وتخير المجالس ، فإن كان العرس كثير الزحام فلا تنظر فى عيون أهل المرأة ولا فى عيون أهل الرجل ليظن هؤلاء أنك من أهل هؤلاء . فإن كان البواب غليظاً صلفاً فابدأ به ومره وانهه من غير أن تعف به وعليك بكلام بين النصيحة والإدلال[٦] .

وجرت العادة عند الأمراء والطبقات الثرية أن ينثر على الحضور النقود الذهبية والفضية والحلويات فى حفلات الزفاف وقد عرف ذلك بالنثار . وتجلت هذه المظاهر

---

(١) ابن الجوزى ، الأذكياء ص ٤٢٨ .
(٢) السيوطى ، تاريخ الخلفاء ص ١٤٩ .
(٣) ابن الجوزى ، الأذكياء ص ٧٧ .
(٤) الثعالبى ، ثمار القلوب ص ٣١٩ — ٣٢١ .
(٥) ابن الجوزى ، الأذكياء ص ١٨٢ .
(٦) ابن الجوزى ، الأذكياء ص ١٨٣ .

في حفلي زواج زبيدة بهارون الرشيد وبوران بالمأمون[١] . وظلت عادة النثار متبعة طيلة العهد العباسي[٢] فشوهدت في حفلي ختان المعتز بن المتوكل[٣] ، وأولاد المقتدر ، حتى قيل إن النفقات بلغت في يوم ختان أولاد هذا الخليفة ستمائة ألف دينار ، حيث وزعت دراهم وكسوة[٤] . وقد اتبع سائر الناس عادة النثار وصاروا فضلا عن ذلك يقدمون الهدايا إلى العروس في صباح يوم زواجها . وتسمى بالصبحية . قيل سئل أحد بعد أن زفت له امرأة قبيحة بماذا تصبحها قال بالطلاق [٥] .

وكان أغلب هذه العادات متبعاً لدى كثيرين من أفراد المجتمع العراق، ولم يختلف عنهم بصورة واضحة سوى طائفة الصابئة ، ففي الزواج كانوا كالمسلمين يتبعون نظام الخطبة عن طريق أحد الوسطاء من الأقارب أو المعارف ، ثم يقوم علماء الدين بعقد القران ، ويقدم الصداق حسب ثروة الزوج . وتنقل العروس إلى مكان خاص قرب النهر تجرى فيه مراسيم الزواج بإشراف علماء الدين وعلى رأسهم الفقيه . وقد جرت العادة عند الصابئة أن يحتفل بتعميد العروسين عند زواجهما فيرتديان ملابس خاصة ويجلسان على حافة النهر ، ثم تغطس رأسيهما ثلاث مرات ، ويرش الماء على جسديهما ويتناول كل منهما ثلاث جرعات من الماء ثم يرتديان ملابس أخرى ويعودان إلى دراهما ، وهناك تجرى طقوس دينية يتولاها أحد علماء الصابئة ، يتناول بعدها العروسان نوعاً خاصاً من الطعام يتكون من الجوز والتمر والزيت والكشمش والملح والبصل ، وبعد الانتهاء من هذه المراسيم يصبح الزواج مقبولا[٦] .

---

(١) الشابشتي ، الديارات ص ١٠٠ و ١٠١ .
(٢) محمد رضا الشبيبي ، مؤرخ العراق ابن الفوطي ج ٢ ص ٩٧ .
(٣) الشابشتي ، الديارات ص ١٠٠ .
(٤) ابن الجوزي ، المنتظم ج ٧ ص ١٢٧ .
(٥) ابن الجوزي ، أخبار الظراف ص ٨٩ .
(٦) عبد الرازق الحسني ، الصابئون ص ١٠٢ — ١٠٤ .